Asiacell
Zain 4.5G+ 12:07
138
B/s
85

المقدمة

المبحث الأول: تعريف الفقه المقارن

الفقه في لغة العرب: الفهم ، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ [1] أي يفهموه . وقال قوم شعيب له: ﴿ يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ﴾ [2].

والفقيه عند العرب الفهامة العالم ، لا فرق في ذلك بين علم وعلم ، فكل من علم علماً فهو فقيه فيه ، ومن علم علوماً كثيرة فهو فقيه العرب وعالمها .

فلما جاء الإسلام غلب اسم الفقه على « علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم ، كما غلب النجم على الثريا ، والعود على المندل» [3] .

وكان علم الدين في الصدر الأول مقصوراً على الكتاب والسنة ، فالفقيه عندهم هو الذي فقه دين الله من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفي الحديث: (نضر الله امرءا سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وربّ حامل فقه ليس بفقيه) [4].

والتأمل في الحديث السابق يدل على أن الفقيه هو صاحب البصيرة في دينه ، الذيْ خلص إلى معاني النصوص ، كما يستطيع أن يخلص إلى الأحكام والعبر والفوائد التي تحويها النصوص [5] .

---

(١) سورة طه: ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة هود: ٩١ .

(٣) لسان العرب: ١١١٩/٢ . بصائر ذوي التمييز: ٢١٠/٤ .

(٤) رواه أبو داود: ٤٣٨/٣ ، وعزاه محقق سنن أبي داود إلى: الترمذي والنسائي . وقال الترمذي: حسن صحيح .

(٥) تاريخ الفقه الإسلامي للمؤلف: ص ١٢ .

وبناء على ما تقدم فإن الفقيه عند أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم هو العالم بالدين كله ، لا فرق في ذلك بين مسائل الاعتقاد، ولا

Edit Annotate Fill & Sign Convert All

(٤) رواه أبو داود: ٤٣٨/٣ ، وعزاه محقق سنن أبي داود إلى: الترمذي والنسائي . وقال الترمذي: حسن صحيح .

(٥) تاريخ الفقه الإسلامي للمؤلف: ص ١٢ .

وبناء على ما تقدم فإن الفقيه عند أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم هو العالم بالدين كله ، لا فرق في ذلك بين مسائل الاعتقاد، ولا مسائل الأخلاق والفروع العملية ، والفقه الأكبر عندهم هو معرفة العبد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر .

ومع كثرة العلوم وتنوعها وكثرة التأليف فيها خص العلماء الفقه « بالعلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية »[1] .

وعلم الفقه بهذا المعنى يعني علم القانون الإسلامي في المصطلح الحديث، واستمداد هذا العلم من الشريعة الإسلامية ، والشريعة هي ما أنزله الله من أحكام في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، والفقه هو ما فهمه العلماء من أحكام من تلك الشريعة المباركة، فالشريعة صواب ليس فيها خطأ ، لأنها منزلة من عند الله العليم الخبير الذي لا يضل ولا ينسى ، أمّا الفقه فإن أصاب الفقيه حكم الله كان حكمه صواباً، وإلا كان خطأ .

وكان القول في الأحكام الفقهية في عهد الرسول ﷺ واحداً ، فإن حدث اختلاف في مسألة فإن قول الرسول ﷺ فيما اختلفوا فيه ينهي الخلاف ويحسمه، وفي عهد الصحابة وقع خلاف في بعض المسائل ، ولكنه كان قليلاً، ولم يزل الخلاف يمتد ويكثر كلما طال الزمان وامتد ، حتى أصبح بالصورة الذي انتهى إليها في هذا العصر .

ولا شكّ أن الخلاف لم يمسّ مسائل الأحكام العملية كلها ، فهناك مسائل كثيرة بقي القول فيها واحداً عند علماء أهل السنة ، وأكثر أدلة هذه المسائل من الأدلة القطعية الثبوت القطعية الدلالة كمسألة وجوب الصلاة ، ووجوب الزكاة والحج وصيام رمضان ، وكحرمة الخمر والميتة والدم ، ونحو ذلك .

وبعض مسائل هذا النوع دليله ظني الثبوت أو دلالته ظنية ، كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، وجواز المسح على الخفين، ووجوب رجم الزاني المحصن.

* * * * * * *

(١) جمع الجوامع للسبكي: ٤٢/١ . الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٥/١ .

المبحث الثاني: موضوع الفقه المقارن

مسائل الاختلاف هي موضوع علم الفقه المقارن ، فالفقه المقارن يبحث فيما اختلف فيه أهل العلم من أحكام بعرض أقوال أهل العلم في المسألة الواحدة ، وتحديد موضع الخلاف فيها ، وهو المسمى بتحرير محل النزاع ، ثم بيان سبب الخلاف ، وذكر أدلة كل فريق ، وبيان ما يرد على كل دليل، والإجابة عنه إن وجد ، وتحديد القول الراجح ، وبيان سبب الترجيح .

والفائدة الكبرى لهذا العلم هو محاولة الوصول إلى حكم الله في المسائل التي

Asiacell
Zain 4.5G+ 12:07
0
K/s
VoLTE
85

ويعض مسائل هذا النوع دليله ظني الثبوت أو دلالته ظنية ، كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، وجواز المسح على الخفين، ووجوب رجم الزاني المحصن.

* * * * * * *

(١) جمع الجوامع للسبكي: ٤٢/١ . الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٥/١ .

المبحث الثاني: موضوع الفقه المقارن

مسائل الاختلاف هي موضوع علم الفقه المقارن ، فالفقه المقارن يبحث فيما اختلف فيه أهل العلم من أحكام بعرض أقوال أهل العلم في المسألة الواحدة ، وتحديد موضع الخلاف فيها ، وهو المسمى بتحرير محل النزاع ، ثم بيان سبب الخلاف ، وذكر أدلة كل فريق ، وبيان ما يرد على كل دليل، والإجابة عنه إن وجد ، وتحديد القول الراجح ، وبيان سبب الترجيح .

والفائدة الكبرى لهذا العلم هو محاولة الوصول إلى حكم الله في المسائل التي تنازع فيها أهل العلم ، ولا شكّ أن عرض آراء العلماء في المسألة الواحدة ، والتعرف إلى الأدلة التي استندوا إليها ينير درب الباحث ، ويعرفه على المسألة من زواياها المختلفة ، ويجعل ترجيحه فيها دقيقاً إن أحسن النظر والفهم والاستدلال، ومن هنا فإن جهود العلماء السابقين محل تقدير وتبجيل عند العلماء اللاحقين ، وهي تعدُّ فقها للكتاب والسنة، إلا أنها لا ترقى إلى منزلة الكتاب والسنة ، وواجبنا أن نستفيد من جهود علمائنا السابقين في تحديد الرأي الراجح في المسائل المختلف فيها ، كما نستفيد من خلال التمرس بتلك الجهود المباركة في مواجهة المسائل المستجدة، فإن الملكة العلمية المبدعة التي تستطيع مواجهة الأحكام المستجدة بالتعرف على أحكامها هي الملكة التي أبدعت فقه ما نظر فيه الفقهاء من أحكام ، وتحقيق ما اختلفوا فيه .

وتعتبر مدونات الفقه المقارن قمة المدونات الفقهية ، وعندما تسرح نظرك فيها تجد المؤلفين فيها يعرضون مذاهب من تقدمهم من أهل العلم ، ويبينون أدلة كل فريق ويرجحون ما ترجحه الأدلة من غير تعصب لقول شخص بعينه، ومع أن أكثر من كتب في الفقه ينسب إلى مذهب من مذاهب إلا أن المحققين منهم يرجحون ما يرون رجحانه من خلال الاستدلال، فالتعصب للرجال ينافي المنهج الذي أمرنا الله به عند التنازع والاختلاف في قوله تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[1] .

(١) سورة النساء: ٥٩ .

Edit Annotate Fill & Sign Convert All

Asiacell
Zain 4.5G+ 12:07
123
B/s
VoLTE
85

يقول الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله مبيناً طريقة تناوله للأحكام التي دلت عليها الآيات القرآنية في كتابه القيم أضواء البيان[1]: « فإننا نبين ما فيها من الأحكام ، وأدلتها من السنة ، وأقوال العلماء في ذلك ، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين ، لأننا ننظر إلى ذات القول ، لا إلى قائله ، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود ، إلا كلامه ﷺ ، ومعلوم أن الحق حق ، وإن كان قائله حقيراً ».

ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله فيه ، ولم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته ، وذلك في قولها فيما ذكر الله عنها ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾[2] . فقد قال تعالى: مصدقاً لها في قولها: ﴿ وكذلك يفعلون ﴾[3] ، وقد قال الشاعر:

لا تحقرن الرأي وهو موافق حكم الصواب إذا أتى من ناقص
فالدر وهو أعزّ شيء يقتنى ما حط قيمته هوان الغائص

والباحثون المعاصرون يطلقون الفقه المقارن على المدونات التي تعرض مسائل الاختلاف في الأحكام الفقهية ، وهي تسمية جديدة لعلم قديم فلا جديد في هذا العلم إلا اسمه ، أما موضوعه ومنهجه وطريقة البحث فيه فكل ذلك قديم.

* * * * * * *

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦/١ .
(٢) سورة النمل: ٣٤ .
(٣) سورة النمل: ٣٤ .

المبحث الثالث

Edit Annotate Fill & Sign Convert All

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٦/١ .

(٢) سورة النمل: ٣٤ .

(٣) سورة النمل: ٣٤ .

المبحث الثالث

الثمرات التي يجنيها الدارس للفقه المقارن

المشتغلون بعلم الفقه المقارن يعلمون أن هناك منافع كثيرة يحصلها الباحث من وراء دراسته للفقه على الطريقة المقارنة ومن هذه المنافع:

١ـ التعرف على الطريق الذي يؤصل الملكة العلمية الفقهية ويؤهل للنبوغ في علم الفقه ، ذلك أن دارس هذا العلم يتعرف إلى أقوال الفقهاء في المسائل المختلف فيها، وتبين طرائقهم في الاستدلال ، ومآخذهم من الأدلة، ويقارن بين أقوالهم ، ويرد ما كان دليله ضعيفاً ، ويطيل النظر والتأمل فيما يشكل عليه ويشتبه عليه ، وهو يحتاج في ذلك كله إلى أن يتعرف على طرائق استخلاص الأحكام من الأدلة ، وكل هذا يوجد الملكة الفقهية، ويوسع الأفق، ويخرج فقهاء متمرسين بالعلم الشرعي .

يقول النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه المجموع: « واعلم أن معرفة مذاهب السلف بأدلتها من أهم ما يحتاج إليه ، لأن اختلافهم في الفروع رحمة[1]، وبذكر مذاهبهم بأدلتها يَعْرف المتمكن المذاهب على وجهها، والراجح من المرجوح ، ويتضح له ولغيره المشكلات ، وتظهر له الفوائد النفيسات ، ويتدرب الناظر فيها بالسؤال والجواب ، ويتفتح ذهنه ويتميز عند ذوي البصائر والألباب ، ويعرف الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، والدلائل الراجحة من المرجوحة ، ويقوم بالجمع بين الأحاديث المتعارضات ، والمعمول بظاهرها من المؤولات ، ولا يشكل عليه إلا أفراد من النادر »[2].

٢ـ يخرج هذا العلم دارسه من ربقة الجمود والتعصب المذموم ، فإن من اتسعت مداركه وآفاقه ، ونظر في أقوال أهل العلم يأبى أن يكون ضيق الأفق متعصباً

(١) هذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه .

(٢) المجموع للنووي: ٥/١ .

لآراء الرجال ، فالحق أحق أن يتبع ، ونبذ العصبية ينشر الود والسماحة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم .

٣ـ يستطيع الباحث على النهج القائم على المقارنة أن يسبر غور الخلاف بين المذاهب ، ويتبين مدى قوة الخلاف وضعفه ، فالخلاف قد يكون في بعض المسائل سائغاً معقولاً، لقوة أدلة الفرقاء المتنازعين ، وأحياناً يكون ضعيفاً لا يجوز الالتفاف إليه ، والتعويل عليه ، لبعده عن القواعد والأصول ، وهذا يظهر للباحث المذهب الأحق بالاتباع والعمل به مما اختلف أهل العلم فيه .

رحمة[1]، وبذكر مذاهبهم بأدلتها يَعْرف المتمكن المذاهب على وجهها، والراجح من المرجوح ، ويتضح له ولغيره المشكلات ، وتظهر له الفوائد النفيسات ، ويتدرب الناظر فيها بالسؤال والجواب ، ويتفتح ذهنه ويتميز عند ذوي البصائر والألباب ، ويعرف الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، والدلائل الراجحة من المرجوحة ، ويقوم بالجمع بين الأحاديث المتعارضات ، والمعمول بظاهرها من المؤولات ، ولا يشكل عليه إلا أفراد من النادر »[2].

٢ـ يخرج هذا العلم دارسه من ربقة الجمود والتعصب المذموم ، فإن من اتسعت مداركه وآفاقه ، ونظر في أقوال أهل العلم يأبى أن يكون ضيق الأفق متعصباً

(١) هذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه .

(٢) المجموع للنووي: ١/٥ .

لآراء الرجال ، فالحق أحق أن يتبع ، ونبذ العصبية ينشر الود والسماحة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم .

٣ـ يستطيع الباحث على النهج القائم على المقارنة أن يسبر غور الخلاف بين المذاهب ، ويتبين مدى قوة الخلاف وضعفه ، فالخلاف قد يكون في بعض المسائل سائغاً معقولاً، لقوة أدلة الفرقاء المتنازعين ، وأحياناً يكون ضعيفاً لا يجوز الالتفاف إليه ، والتعويل عليه ، لبعده عن القواعد والأصول ، وهذا يظهر للباحث المذهب الأحق بالاتباع والعمل به مما اختلف أهل العلم فيه .

٤ـ اطلاع طلبة العلم على أقوال أهل العلم وأدلتهم يرد على الذين يزعمون بأن الفقه الإسلامي مستمد من التعاليم اليهودية أو القانون الروماني، ويؤكد لديه أصالة فقهنا واستقلاله عن غيره .

٥ـ هذا النوع من العلم يعرفنا بأقوال علمائنا وأئمتنا الذين ساروا في طريق العلم من قبلنا ، فأناروا لأمتهم الطريق ، ومن هؤلاء فقهاء الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من فقهاء الأمصار والأئمة ، فأنت تقرأ في كتب الفقه المدونة على النهج المقارن فقه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وفقه الحسن البصري ، وعروة بن الزبير ، وفقه الثوري والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وفقه أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وفقه أصحابهم وأتباعهم .

* * * * * * *